أَلْهِدَايَاتُ القُرْآنِيَّةُ...
ضَبْطُ المَفْهُومِ وَتَأْصِيلُ المُصْطَلَحِ

أ.د. عبد القادر سلّامي
كلية الآداب واللغات
جامعة تلمسان-جمهورية الجزائر

فحوى البحث

يسعى البحث الى الوقوف على المسألة المصطلحية في القرآن الكريم من زاوية تحديد المفاهيم والمصطلحات التي تفرض بدورها إعادة اكتشاف جوانب الإعجاز فيه من منظور يصلُ مصطلح الهدى بالمعجم تعريفاً و بالقرآن دلالةً وأنواعاً ومجالاتٍ وأهميةً وآثاراً.

والسيد الباحث يدخل في صلب البحث من دون مقدمة أو تفريعات مما اكسبه صفة الوحدة البحثية المجردة من الحشو والإسفاف.

مفهوم الهداية

بين اللغـــــة والاصطلاح:

الهُدَى بضمّ الهاء وفتْح الدّال: الرَّشَادُ والدّلالة، ويُذكَّرُ والنّهـــار، هداهُ هُدًى وهَدْياً وهِدَايَةً وهِدْيَةً بكسرهما: أَرْشَدَهُ فَهَدَى واهْتَدَى. وهَدَاهُ اللهُ الطَّرِيقَ ولهُ وإليه، ورَجُلٌ هَدُوٌّ: هادٍ. والهَدْيُ والهَدْيَةُ: الطّريقـــــةُ والسِّيرَةُ، والهَادي: المُتَقدّمُ والهَوَادي الجَمْعُ، ومن اللَّيْل: أوائلُهُ ومن الإبِل: أَوَّلُ رَعيلٍ يَطْلُعُ منها، والهَدِيَّةُ: ما أُتْحِفَ به جمع هَدايَا وهَدَاوَى وهَدَاوٍ. والهِدَاءُ: أنْ تَجِيءَ هذه بطعامٍ وهذه بطَعامٍ فَتَأْكُلاَ معاً في مَكانٍ، وما أُهدِيَ إلى مكَّةَ كالهَدْيِ فيهما، والتَّهْدِيَةُ: التَّفْرِيقُ. واهْتَدَى الفَرَسُ الخَيْلَ: صَارَ في أَوَائِلِها، وتَهَدَتِ المَرْأَةُ: تَمَايَلَتْ في مِشْيَتِها وكلُّ مَنْ فَعَلَ ذلك بأَحدٍ فهو يُهَاديهِ[1]. والهادي من أسماء الله تعالى: الذي بصر عباده وعرفهم طريق معرفته حتى أقرّوا بربوبيته، وهدى كل مخلوق إلى مالا بد منه في بقائه ودوامه وجوده[2]. «والهدي الصّالـــح»: السّيرة والهيئة والطريقة. والهَدْيُ: «ما ينقل للذبح من النَّعَم للحَرم»[3]. ما يهدى إلى البيت الحرام من النّعم لتُنحر، فأطلق على جميع الإبل وإن لم تكن هديا تسمية للشّيء ببعضه[4].

وفلان يهـــدي للناس إذا كان كثير الهدايا... وأهدى إلى الحرم هديا وهديا وهدى العروس إلى زوجها هداء أهداه إليه... بمعنى دللتها وجعلتها هدية[5]. «والمِهْدَى: الطَّبَقُ الذي يُهْدَى عليـــه. والمِهْدَاءُ: مَنْ يُكْثِرُ إهْدَاءَ الهَدِيَّةِ، والهَدْيَةُ والهِدْيَةُ: الطَّرِيقَةُ والسِّيرَةُ، يقال: «ما أحسنَ هَدْيَتَهُ» أي ما أحسَنَ طريقتَهُ، أو سيرتَهُ بين الناس؛ و: فلان يُهَادِي بَيْنَ اثْنَيْنِ: إذا مَشَى بينَهما مُعْتَمِداً عليهم[6].

وتقول العربُ: هو لا يَهتَدي لهذَا، أيْ لا يَعْرِفُهُ، وتقولُ: هَدَيْتُ العَرُوسَ إلى بَعْلِها، وتقولُ أيضاً: أَهْدَيْتُها إليه، و: هُدِيَتْ لهُ، وتقولُ: أَهْدَيْتُ لَهُ هَدِيَّةً. وبنُو تَمِيم يقولون: هَدَيْتُ العَرُوسَ إلى زَوْجِها، جَعلُوه في معنى «دَلضلْتُها»، وقَيْس تقول: «أهْدَيْتُها»، جَعلُوه بمنزلَة الهَدِيّة»[7].

وعلى هذا، فالهِـــدَايَةُ دلالَةٌ بلُطفٍ بالمؤمن أو تهكّمٍ بالكّافـــر، و منه الهَدِيَّةُ، وخُصَّ ما كانَ دلالةً بهديْتُ، وما كانَ

إعْطاءً بأهْدَيْتُ.

- **أنواع الهدايات وأهمّيتها:**

هدايةُ الله تعالى للإنسان على أربعة أوْجُهٍ[٨]:

- **الأوّل**: الهدايَةُ التي عَمَّ بجِنْسها كلَّ مكلَّفٍ من العقل والفِطنة والمعارف التي أعمَّ منها كلّ شيءٍ بقَدْرٍ فيه حسْبَ احتمالِه. قال تعالى: ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴾[سورة طه: ٤٩-٥٠].

جاء في تفسير القرطبي(ت٦٧١هـ): «ثم هدى قال ابن عباس وسعيد بن جبير والسدي: أعطى كل شيء زوجه من جنسه، ثم هداه إلى مَنْكَحِه ومَطْعَمِه ومَشْرَبِه ومَسْكِنِه، وعن ابن عباس ثم هداه إلى الألفة والاجتماع والمناكحة. وقال الحسن وقتادة: أعطى كلّ شيء صلاحَه، وهداه لما يُصلحه. وقال مجاهد: أعطى كل شيء صورةً ؛ ولم يجعل خلق الإنسان في خلق البهائم، ولا خَلْق البهائم في خَلْقَ الإنسان، ولكن خلق كل شيء فقدره تقديرا»[٩].

قال ابن قتيبة (ت ٣٧٦هـ): «أي أعطى كلّ ذَكر خَلْقاً مثله من الإنَاث» ثمّ «هدى الذّكَر لإتيان الأُنثى»[١٠].

- **الثـــاني**: التي جعلَ للنَّاسِ بدُعائِه إيَّاهُم على أَلْسِنَةِ الأَنْبِيَاءِ، وإنْزَالِ القرآن الكريـــم ونَحوِ ذلك، وهو المقصود بقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾ [سورة الأنبياء: ٧٣].

جـــاء في تفسير الطّبري: وقوله: ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، يقول تعالى ذكره: وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتمّ بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه، ويقتدى بهم، ويُتَّبَعون عليه. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيـــد، عن قتادة، قوله ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ جعلهم الله أئمة يُقتدى بهم في أمر الله وقوله: ﴿ يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾، يقول: يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته، وقوله: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ

الْخَيْرَاتِ ﴾، يقول تعالى ذكره: وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِمْ فِعْلَ ٱلْخَيْرَٰتِ وَإِقَامَ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءَ ٱلزَّكَوٰةِ ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا عَٰبِدِينَ ﴾، يقول: كانوا لنا خاشعين، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا[11].

- **الثّالث**: التَّوْفيقُ الذي يَخْتَصُّ بهِ من اهْتَدى، وهو المعنيّ بقوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴾[سورة محمد: ١٧].

قال الزمخشري في تفسير الكشاف: (زادَهم) الله (هدى) بالتوفيق (وآتاهُم تقْوَاهم) أعانهم عليها أو أتاهم جزاءَ تقْواهم. وعن السدّي: بيَّن لهم ما يتّقون. وقرُئ: وأعطاهم، وقيل: الضّمير هم زادهُم لقول الرسول أو الاستهزَاء المُنافقين أن تأتيهم بدَلُ اشتمال من السّاعة نحو: أن تطؤهُم من قوله: رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات»[12].

وجاء في معاني القرآن للفراء (ت ٢٠٧هـ): ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴾. وقوله: ﴿ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى ﴾ زادهم استهزاؤهم هدى، وآتاهم الله تقواهم، يقال: أثابهم ثواب تقواهم، ويقال: ألهمهم تقواهم، ويقال: آتاهم تقواهم من المنسوخ إذا نزل الناسخ[13].

وقال القرطبي في تفسيره: والذين اهتدوا أي للإيمان زادهم الله هدى. وقيل: ما يستمعونه من القرآن هدى، أي: يتضاعف يقينُهم. وفي الهدى الذي زادهم أربعة أقاويل: أحدها: زادهم علما، قاله الربيع بن أنس. الثاني: أنهم علموا ما سمعوا وعملوا بما علموا، قاله الضحّاك. الثالث: زادهم بصيرة في دينهم وتصديقا لنبيهم، قاله الكلبي. الرابع: شرح صدورهم بما هم عليه من الإيمان. وآتاهم تقواهم أي ألهمهم إياها. وقيل: فيه خمسة أوجه: أحدها: آتاهم الخشية، قاله الربيع. الثاني: ثواب تقواهم في الآخرة، قاله السدي. الثالث: وفقهم للعمل الذي فرض عليهم، قاله مقاتل. الرابع: بين لهم ما يتقون، قاله ابن زياد والسدي أيضا. الخامس: أنه تركُ المنسوخ والعملُ بالناسخ، قاله عطية. الماوردي: ويحتمل. سادسا: أنه ترك الرُّخَص والأخذ بالعزائم. وقرئ: (وأعطاهم)

بدل﴿ وآتاهم ﴾ وقال عكرمة: هذه نزلت فيمن آمنَ من أهل الكتاب(١٤).

وقوله: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [سورة التغابن: ١١].

وقال الفرّاء: قوله جل وعز: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾، يريد: إلا بأمر الله، «وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قلْبَهُ» عند المصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، ويقال: يهد قلبه إذا ابتُلي صبر، وإذا أُنعم عليه شكر، وإذا ظُلِمَ غفر، فذلك قوله يهد قلبه»(١٥).

قال القرطبي في تفسير: قوله تعالى: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ﴾ ـأي: بإرادتِه وقضائِه.. وقيل: إلاّ بعلْم الله. وقيل سببُ نُزُولها انّ الكُفَّارَ قالوا: لو كانَ ما عليه المُسلمونَ حقّاً لَصَانَهم الله من المصائب في الدّنيا، فبيَّن اللهُ تعالى أنَّ ما أصابَ من مُصيبَةٍ في نَفْسٍ أو مالٍ أو قوْلٍ أو فعْلٍ، يقتضي هَمّاً أو يُوجبُ عِقاباً عاجلاً أو آجِلاً، فبعلْم الله وقضائِه. وقوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ أي: يُصدِّقْ ويعلمُ أنَّه لا يُصيبُه مُصيبة إلاَّ بإذن الله. ﴿ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ للصّبر والرّضا. وقيل: يثَبِّته على الإيمان. وقال أبو عثمان الحيري: مَنْ صحَّ إيمانُه، يَهْدِ اللهُ قلبَهُ لاتِّبَاعِ السنَّة. وقيل: (وَمَن يُؤْمِن بِاللهِ يَهْدِ قَلْبَهُ) عند المُصيبة، فيقولُ: ﴿ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾ [سورة البقرة: ١٥٦]. قاله ابن جُبير. وقال ابنُ عبّاس: هو أنْ يجعلَ اللهُ في قلبه اليقينَ ليَعْلَمَ أنّ ما أصَابَهُ ما كانَ لِيُخطِئَهُ، وأنَّ ما أخْطَأَهُ ما كانَ لِيُصيبَهُ. وقال الكَلْبِيُّ: هوَ إذا ابْتُلِيَ صَبَرَ، وإذا أُنْعِمَ عليهِ شَكَرَ، وإذا ظُلْمَ غَفَرَ، وقيلَ: يَهْدِ قلبَهُ إلى نَيلِ الثّوَابِ في الجَنَّة»(١٦).

وجاء في تفسيرها عن ابن كثير(ت ٧٧٤هـ): يقول تعالى مخبرا بما أخبر به في سورة الحديد: ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [سورة الحديد: ٢٢] وهكذا قال هنا: (ما أصاب من مصيبة إلا بإذن الله) قال ابن عباس: بأمر الله، يعني: عن قدَره ومَشيئته. ومن يؤمن بالله يهد قلبه والله بكل شيء عليم، أي: ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب، واستسلم لقضاء الله،

هدى الله قلبه، وعوضه عما فاته من الدنيا هدى في قلبه، ويقينا صادقا، وقد يخلف عليه ما كان أخذ منه، أو خيرا منه...[١٧]

وفي الحديث المتفق عليه: (عجباً للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرا له، إن أصابته ضرّاء صبر فكان خيراً له، وإن أصابته سرّاء شكر فكان خيراً له، وليس ذلك لأحد إلاّ للمؤمن)[١٨].

- **الرّابعُ**: الهِدَايَةُ في الآخِرَةِ إلى الجنَّة، المعنيُّ يقوله تعالى: ﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾[سورة محمد: ٥].

جـــاء في تفسيـــــر ابن كثير: «﴿ سَيَهْدِيهِمْ ﴾، أَيْ إِلَى الْجَنَّة كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴾[سورة يونس: ٩] وقَوْله عَزَّ وَجَلَّ ﴿ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴾ أَيْ أَمْرهمْ وَحَالهمْ، ﴿ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴾[سورة محمد: ٦]، أي عرّفهم بها وهدَاهُم إليها»[١٩].

وقوله: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾[سورة الأعراف: ٤٣].

جاء في تفسير الطبري: الْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ﴾، يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَأَذْهَبْنَا مِنْ صُدُور هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وَصَفَ صِفَتهمْ وَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ أَصْحَاب الْجَنَّة، مَا فِيهَا مِنْ حِقْد وَغِلّ وَعَدَاوَة كَانَ مِنْ بَعْضهمْ فِي الدُّنْيَا عَلَى بَعْض، جَعَلَهُمْ فِي الْجَنَّة إِذْ أَدْخَلهُمُوهَا عَلَى سُرَر مُتَقَابِلِينَ، لَا يَحْسُد بَعْضهمْ بَعْضًا عَلَى شَيْء خَصَّ اللَّهُ بِهِ بَعْضهمْ وَفَضَّلَهُ مِنْ كَرَامَته عَلَيْهِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتهمْ أَنْهَار الْجَنَّة. والْقَوْل فِي تَأْوِيل قَوْله تَعَالَى: ﴿ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ﴾ يَقُول تَعَالَى ذِكْره: وَقَالَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ وصفهم جَلَّ ثَنَاؤُهُ وَهُمْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَات حِين أُدْخِلُوا الْجَنَّة وَرَأَوْا مَا أَكْرَمَهُمْ اللَّهُ بِهِ مِنْ كَرَامَته وَمَا صَرَفَ عَنْهُمْ مِنْ الْعَذَاب الْمُهِين الَّذِي ابْتُلِيَ بِهِ أَهْل النَّار بِكُفْرِهِمْ بِرَبِّهِمْ وَتَكْذِيبهمْ رُسُله: ﴿ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَانَا لِهَٰذَا ﴾ يَقُول: الْحَمْد لِلَّهِ الَّذِي وَفَّقَنَا

لِلْعَمَلِ الَّذِي أَكْسَبَنَا هَذَا الَّذِي نَحْنُ فِيهِ مِنْ كَرَامَة اللهَّ وَفَضْله وَصَرَفَ عَذَابه عَنَّا. ﴿وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللهَّ﴾ يَقُول: وَمَا كُنَّا لِنُرْشَد لِذَلِكَ لَوْلَا أَنْ أَرْشَدَنَا اللهَّ لَهُ وَوَفَّقَنَا بِمَنِّهِ وَطَوْله. والقول في تأويل قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قولُ تعالى ذِكْرُه عن هولاء الذين آمنُوا وعملُوا الصَّالحات أنّهم يقولون عند دخُولهم الجنَّة، ورؤيتُهم كرَامةَ الله التي أكْرَمَهم بها، وهو أنّ أعداءَ الله في النّار: والله لقد جاءَتْنا في الدنيا، و هؤلاء الذين في النّار رُسُل ربّنا بالحقّ من الأخبار عن وَعْد الله أهلَ طاعته والإيمان به وبرُسُله، و وَعيدِه أهلَ معاصيهِ والكُفر به. وأمّا قولُه: ﴿وَنُودُوا أَن تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، فإنَّ معناه: ونَادَى مُنادٍ، هؤلاء الذينَ وَصفَ اللهُ صِفَتَهم، وأخْبَرَ عمَّا أعدَّ لهم منْ كرامته: أنّ هؤلاء، هذه تِلْكُم الجنَّة التي كانت رُسُلي في الدُّنيا تُخبرُكم عنها أوْرَثَكُمُوها اللهُ عن الذّين كَذَّبُوا رُسُلَهُ، لتَصْديقكُم إيَّاهُم وطاعَتُكم ربَّكُم. وذلك معنى قوله: ﴿مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[٢٠].

و هذه الهِدَايَاتُ، على نجو ما ذكرنا، مُتَرَتّبَةٌ، فإنْ لمْ تحصلْ الثانيَةُ لا تحصُلُ لهُ الثَّالِثَةُ، بَلْ لا يَصِحُّ تَكليفُهُ، ومنْ لمْ تحصُلْ لهُ الثّانيَةُ لا تَحْصُلُ لهُ الثَّالثَةُ والرَّابعَةُ، ومنْ حصَلَ لهُ الرّابعُ فقد حَصَلَ لهُ الثَّلاَثُ التي قبلَها، ومنْ حَصَل لهُ الثّالِثُ فقد حَصَلَ لهُ اللَّذَانِ قبْلَهُ، ثُمّ ينعَكِسُ، فقد تَحْصُلُ الأُولى و لا يَحصُلُ لهُ الثّاني ولا يَحصُلُ الثّالثُ[٢١].

- **آثار الهدايات ومجالاتها:**

هذا، والإنسانُ لا يقدرُ أنْ يَهْدِي أَحَداً إلاَّ بالدُّعاءِ وتعريف الطّرُق من دون سائرِ الهِدَايَاتِ[٢٢]. وإلى الأوَّل أشـــارَ بقولهِ: ﴿يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾[سـورة الأنبيَاء: ٧٣]، ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [سورة الرّعد: ٧] أي داعٍ. وإلى سائرِ الهِدايات أشار بقولهِ تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [سورة القَصَص: ٥٦]. وكُلُّ هِدايَة ذَكَر اللهُّ عزَّ وجلَّ أنه منعَ الظالِمِينَ والكافِرِينَ منها، فهي الهِدايَةُ الثالِثَةُ، وهي التَّوْفِيقُ الذي يَخْتَصُّ به المُهْتَدُونَ، والرابعةُ التي هي الثَّوابُ في الآخرةِ وإدْخالُ الجَنَّةِ، نحوُ قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿كَيْفَ يَهْدِى ٱللَّهُ

﴿قَوْمًا﴾[سورة آل عِمرَان: ٨٦] إلى قولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [سورة البَقَرَة: ٢٥٨] وكقولِهِ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [سورة النّحل: ١٠٧]. وكُلُّ هِدايَة نَفاها الله عن النبيِّ ﷺ وعن البَشَر، وذَكَرَ أنهم غيرُ قادِرِينَ عليها، فهي ما عدا المُخْتَصَّ من الدُّعـــاءِ وتَعْرِيفِ الطريق، وذلك كإعْطاءِ العَقْلِ والتَّوْفِيقِ وإدْخالِ الجَنَّةِ، كقولِهِ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ﴾ [سورة البَقَرَة: ٢٧٢]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [سورة البَقَرَة: ٢٧٢]، ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾[سورة الأنعَام: ٣٥]، ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ﴾ [سورة الرُّوم: ٥٣]، ﴿إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ﴾[سورة النّحل: ٣٧]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾[سورة الرّعد ٣٣]، ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ [سورة الزُّمَر: ٣٧] ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾[سورة القَصَص: ٥٦].

وإلى هذا المعنَى أشارَ بقولِهِ تعالى: ﴿أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾. [سورة يُونس: ٩٩]. قولهُ: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾ [سورة الإسرَاء: ٩٧] أي طالِبُ الهُدَى ومُتَحَرِّيهِ هو الذي يُوَفِّقُهُ ويَهْدِيهِ إلى طريق الجَنَّةِ، لا مَنْ ضادَّهُ فَيَتَحرَّى طريقَ الضَّلالِ والكُفْرِ، كقولِهِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [ســـورة البَقَرَة: ٢٦٤] وفي أُخْرَى: (الظالِمِينَ). وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾[سورة الزُّمَر: ٣] الكاذِبُ الكَفَّارُ هو الذي لا يَقْبَلُ هِدايَتَهُ، فإن ذلك راجِعٌ إلى هذا، وإن لم يكنْ لَفْظُهُ مَوْضُوعاً لذلك، ومن لم يَقْبَلْ هِدايَتَهُ لم يَهْدِهِ، كقولِكَ: من لم يَقْبَلْ هَدِيَّتي لم أُهْدِ لَهُ، ومَنْ لم يَقْبَلْ عَطِيَّتي لم أعْطِهِ، ومَنْ رَغِبَ عَنِّي لم أرْغَبْ فيه[٢٣].

وعلى هذا النحوِ: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[سورة البَقَرَة: ٢٥٨] وفي أُخْرَى: (الفاسِقِينَ). وقولهُ: ﴿أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾[سورة يُونس: ٣٥] يَعْني أَنَّ الأَصْنَامُ لا تَهْتَدِي ولا تَهْدِي أَحداً وإنْ

هُدِيَتْ لم تَهْتَدِ لأنها مَواتٌ من حِجارَة ونحوها. وأما الذين يعبدون بشراً أو ملائكة أو سواهم فهم عبادٌ أمثالهم، كما قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ ﴾، [سورة الأعرَاف: ١٩٤]، وقال في موضعٍ آخَرَ: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴾ [سورة النّحل: ٧٣] وقولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ [سورة الإنسَان: ٣]، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴾ [سورة البَلَد: ١٠]، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الصَّافات: ١١٨] فذلك إشارةٌ إلى ما عَرَّفَ من طريقِ الخَيْرِ والشَّرِّ، وطريقِ الثَّوابِ والعِقابِ بالعَقْلِ والشرعِ. وكذا قولهُ: ﴿ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ ﴾ [سورة الأعرَاف: ٣٠]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [سورة القَصَص: ٥٦]. أمّا قوله تعالى: ﴿ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ﴾ [سورة التّغَابُن: ١١] فهو إشارةٌ إلى التَّوْفِيقِ المُلْقَى في الرَّوْعِ فيما يَتَحَرَّاهُ الإنسانُ، وإياهُ عَنَى بقولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى ﴾ [سورة محَمَّد: ١٧].

وعُدِّيَ الهِدايَةُ في مَواضِعَ بِنَفْسِهِ، وفي مَواضِعَ باللامِ، وفي مواضِع بإلى[٢٤]. فمن الأخير ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة آل عِمرَان: ١٠١]، ﴿ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الأنعَام: ٨٧]، ﴿ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ ﴾ [سورة يُونس: ٣٥]، ﴿ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ ﴾ [سورة النَّازعَات: ١٨ -١٩]. وما عُدِّيَ بِنَفْسِهِ نحوُ: ﴿ وَلَهَدَيْنَٰهُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النِّسَاء: ٦٨]، ﴿ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الصَّافات: ١١٨]، ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾ [سورة الفَاتِحَة: ٦]، ﴿ أَتُرِيدُونَ أَن تَهْدُوا۟ مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ ﴾ [سورة النِّسَاء: ٨٨]، ﴿ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴾ [سورة النِّسَاء: ١٦٨]، ﴿ أَفَأَنتَ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ ﴾ [سورة يُونس: ٤٣]، ﴿ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴾ [سورة النِّسَاء: ١٧٥].

ولَمَّا كانَت الهِدَايَةُ والتَّعْلِيمُ يَقْتَضِيان

شَيْئَيْنِ: تَعْرِيفاً مِنَ المُعَرِّفِ، وتَعَرُّفاً مِنَ المُعَرَّفِ، وبهما تَمَّ الهِدايَةُ والتَّعْلِيمُ، فإنه مَتَى حَصَلَ البَذْلُ مِنَ الهَادِي والمُعَلِّمِ، ولم يَحْصُل القَبُولُ صَحَّ أن يقالَ: لم يَهْدِ، ولم يُعَلِّمْ، اعتباراً بِعَدَمِ القَبُولِ. وصَحَّ أن يقالَ: هَدَى وعَلَّمَ، اعتباراً بِبَذْلِهِ، فإذا كان كذلك صَحَّ أن يقالَ: إنَّ اللهَ تعالى لم يَهْدِ الكافِرِينَ والفاسِقِينَ، إذ إنه لم يَحْصُلِ القَبُولُ الذي هو تمامُ الهِدايَةِ والتَّعْلِيمِ. وصحَّ أن يقالَ: هَداهُمْ وعَلَّمَهُمْ إذ حَصَلَ البَذْلُ الذي هو مَبْدَأُ الهِدَايَةِ[٢٥].

فَعَلَى الاعتبـــارِ الأول يصحُّ أن يُحْمَلَ قولهُ تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [ســـورة البَقَرَة: ٢٥٨]، و(الكافِرِينَ). وعلى الثاني قولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيۡنَٰهُمۡ فَٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡعَمَىٰ عَلَى ٱلۡهُدَىٰ ﴾[سورة فُصّلَت: ١٧]، والأُولَى حيثُ لم يَحْصُلِ القَبُولُ المُفِيدُ، فيقالُ: هَداهُ اللهُ فَلَمْ يَهْتَدِ، كقولهِ ﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ ﴾[سورة فُصّلَت: ١٧]. وقولهُ: ﴿ لِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٤٢] إلى قولهِ: ﴿ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾ [ســـورة البَقَرَة: ١٤٣] فَهُمُ الذينَ قَبِلُوا هُدَاهُ واهْتَدَوْا به.

وقولهُ تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ [سورة الفَاتِحَة: ٦]، ﴿ وَلَهَدَيۡنَٰهُمۡ صِرَٰطًا مُّسۡتَقِيمًا ﴾[سورة النِّسَاء: ٦٨] فقد قيلَ: عُنِيَ به الهِدايَةُ العامَّةُ التي هي العَقْلُ وسُنَّةُ الأنبياءِ، وأُمِرْنا أن نقولَ ذلك بألْسِنَتِنَا، وإن كانَ قد فَعَلَ لِيُعْطِيَنَا بذلك ثَواباً، كما أُمِرْنا أن نقولَ: اللَّهُمَّ صَلِّ على مُحَمَّدٍ، وإن كانَ قَدْ صَلَّى عليه بقولهِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ ﴾[سورة الأحزَاب: ٥٦]، وقيلَ: إن ذلك دُعاءٌ بِحِفْظِنا عن اسْتِغْواءِ الغُواةِ، واسْتِهْوَاءِ الشَّهَواتِ. وقيلَ: هو سُؤالٌ للتَّوْفِيقِ المَوْعُودِ به في قولهِ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى ﴾[سورة محَمَّد: ١٧]، وقيلَ: سُؤالٌ لِلهِدايَةِ إلى الجَنَّةِ في الآخرةِ. وقولهُ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِن كَانَتۡ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٤٣] فإنه يَعْنِي به مَنْ هَداهُ بالتَّوفِيقِ المذكورِ في قولهِ عزَّ وجلَّ: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدًى ﴾ [سورة محَمَّد: ١٧]. والهُدَى والهِدَايَةُ في موضوعِ اللُّغَةِ واحدٌ، لكنْ قد خَصَّ اللهُ عزَّ وجلَّ لَفْظَةَ الهُدَى بما تَوَلاَّهُ وأعْطَاهُ

واخْتَصَّ هو به دُونَ ما هو إلى الإنسانِ، نحوُ: ﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾[سورة البَقَرَة: ٢]، ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾[سورة البَقَرَة: ٥]، ﴿ وَهُدًى لِّلنَّاسِ ﴾ [سورة الأنعَام: ٩١]، ﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ ﴾[سورة البَقَرَة: ٣٨]، ﴿ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ﴾ [سورة البَقَرَة: ١٢٠]، ﴿ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ [سورة آل عِمرَان: ١٣٨]، ﴿ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى ٱلْهُدَىٰ ﴾[سورة الأنعَام: ٣٥]، ﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَن يُضِلُّ ﴾ [سورة النّحل: ٣٧] ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلْهُدَىٰ ﴾ [سورة البَقَرَة: ١٦]. والاهْتِداءُ: يَخْتَصُّ بما يَتَحَرَّاهُ الإنسانُ من طريقِ الاخْتِيارِ، إمّا في الأمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ، أو الأخْرَوِيَّةِ. قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟ بِهَا ﴾[سورة الأنعَام: ٩٧] وقال: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾ [سورة النِّسَاء: ٩٨]، ويقالُ ذلك لِطَلَبِ الهِدايَةِ نحوُ: ﴿ وَإِذْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[سورة البَقَرَة: ٥٣]، وقال: ﴿ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٥٠]، ﴿ فَإِنْ أَسْلَمُوا۟ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾ [سورة آل عِمرَان: ٢٠]، ﴿ فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٣٧].

ويقالُ: المُهْتَدِي مَن يَقْتَدِي بِعالِمٍ، نحوُ: ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾[سورة المَائدة: ١٠٤] تنبيهاً أنهمْ لا يَعْلَمُونَ بأنْفُسِهِمْ ولا يَقْتَدُونَ بِعالِمٍ[٢٦]. وقولهُ: ﴿ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ﴾[سورة الإسرَاء: ١٥] فإن الاهْتِدَاءَ هنا على كل وجوهه مِن طَلَبِ الهِدَايَةِ ومن الاقْتِداءِ ومن تَحَرِّيها، وكذا قولهُ: ﴿ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴾ [سورة النَّمل: ٢٤] وقولهُ: ﴿ وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴾ [سورة طه: ٨٢] فمعناهُ: ثم أدامَ طَلَبَ الهِدايَةِ ولم يَفْتُرْ عن تَحَرِّيه، ولم يَرْجِعْ إلى المَعْصِيَةِ. وقولهُ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٥٦] إلى قوله: ﴿ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾

[سورة البقرة: ١٥٧] أي الذين تحَرَّوْا هِدايَتَهُ وقَبِلُوها وعَمِلُوا بها. وقال مُخْبِراً عنهم: ﴿ وَقَالُواْ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴾ [سورة الزّخرُف: ٤٩] والهَدْيُ مُخْتَصٌّ بما يُهْدَى إلى البَيْتِ الحَرامِ. قالَ الأَخْفَشُ: والواحِدَةُ: هَدِيَّةٌ. قال: ويقالُ لِلأُنْثَى هَدْيٌ، كَأَنَّهُ مَصْدَرٌ وُصِفَ به. ﴿ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ ﴾[سورة البَقَرَة: ١٩٦]، ﴿ هَدْيًا بَٰلِغَ ٱلْكَعْبَةِ ﴾ [سورة المَائدة: ٩٥]، ﴿ وَٱلْهَدْىَ وَٱلْقَلَٰٓئِدَ ﴾[سورة المائدة: ٩٧] ﴿ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا ﴾[سورة الفَتْح: ٢٥] والهَدِيَّةُ مُخْتَصَّةٌ باللُّطَفِ الذي يُهْدِي بعضُنا إلى بعضٍ ﴿ وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ ﴾ [سورة النَّمل: ٣٥] ﴿ بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴾[سورة النَّمل: ٣٦].

الخاتمـــــــة:

إنّ التوفيق والهداية بيد الله عز وجل، من شاء الله أن يهديه هداه، ومن شاء أن يضله أضله، قال الله تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾[سورة الزمر: ٢٣]، وقال جل وعلا: ﴿ مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [سورة الْأَنْعَام: ٣٩]، وقال سبحانه: ﴿ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[سورة الْأَعْرَاف: ١٧٨] المسلم يدعو في صلاته ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾[سورة الفاتحة: ٦] لعلمه أنّ الهداية بيد الله تعالى، ومع ذلك ؛ فالعبد مطالب بالأخذ بأسباب الهداية، مُطالَب بالصبر والثبات والبدء بطريق الاستقامة، فقد وهبه الله عز وجل عقلا منيرا، وإرادة حرة، يختار بها الخير من الشر، والهدى من الضلال، فإذا بذل الأسباب الحقيقية، وحرص على أن يرزقه الله الهداية التامة جاءه التوفيق من الله تعالى. قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [سورة الأَنْعَام: ٥٣].

الآية المائة والخامسة والثمانين في قوله تعالى: ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ

فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾[سورة البقرة: ١٨٥].

ومن خلال النظر في الآيات السابقة مُرَتَّبةً، يتبيَّن لنا التالي:

الآية الأولى: وصْفٌ للقرآن.

الثانيـــة: تقرير أنَّ الهدى من الله- سبحانه وتعالى.

الثالثة: أنَّ الهدى يأتي للجن والأنس.

الرابعة: تُشير إلى وسيلة نزول الهدى وإيصاله للخَلق من الملائكة ومن البشر: جبريل عليه السلام ومحمد ﷺ.

الخامسة: ذكرت وقت نزول الهدى وهو شهر رمضان.

وخلاصة القول: إن مصطلح الهداية باشتقاقاته الفعلية والاسمية، هو مصطلح تكرّر ذكره في القرآن الكريم حســـب الأوجه التي أراد الله أن يهدي بها عباده، ولعظمة كلامه عزّ وجل، كان جاء الترتيب عكسيا، فإن اهتدى الإنسان بالوجه الرابع من الهدايات، فحتما سيهتدي بما سبقه من أوجه الهدايات الأخرى، ومهما اختلفت أوجه الهدايات، ومهما تعددت مصطلحاتها، ستبقى دلالتها تتمحور حول الرشد إلى الصواب.

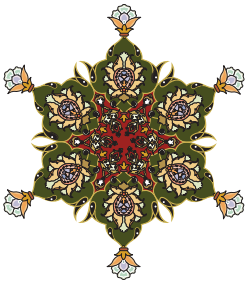

الهوامش:

(١) ينظر: التعريفات لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥ه، ص٣٩٥، مادة (هدي) و المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط٤، ٢٠٠٤م، ١٤٢٥ه: ٩٧٨، (هدى)، و الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري، راجعه، أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، هـ١٤٣٠، ٢٠٠٩م: ١١٩٤، مادة (هدى).

(٢) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تقديم، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط ١، ١٤٦١هـ: ١٠٠٣، مادة (هدا).

(٣) القاموس المحيط، لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، دت، ٤/ ٤٠٥ -٤٠٦، مادة (الهُدى).

(٤) المصدر نفسه، ص١٠٠٤، مادة (هدي).

(٥) ينظر: أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، حققه، مزيد نعيم وسوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط، ١، ١٩٩٨م: ٢/ ٣٦٨ (هدي).

(٦) ينظر: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، لسمير عاطف الزّين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ -١٩٨٤م ص٨٩٢، مادة (هدى).

(٧) معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بالأخفش الأوسط، تحقيق فايز فارس، ط٢، دار البشير ودارالأمل، ١٤٠٠هـ-١٤٠١هـ/ ١٩٧٩م-١٩٨١م، ٢/ ٢٩٨.

(٨) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث،، ص ٨٨٧ -٨٨٨، مادة (هدى).

(٩) الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ١٤/ ٧١.

(١٠) تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، عن دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ، ص ٢٧٩.

(١١) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ -١٩٩٤م، ٥/ ٢٦٧ -٢٦٨.

(١٢) تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطلاعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م، ص١٠٢٠.

(١٣) معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت،

١٩٨٠م، ٣/ ٦١.

(١٤) الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، ١٩/ ٢٦٣ -٢٦٤.

(١٥) معاني القرآن للفراء ٣،/ ١٦١.

(١٦) الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٧هـ -٢٠٠٦م، ٢١/ ١٥.

(١٧) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ ط٣، هـ -١٩٩٩ م، ٨/ ١٣٧ -١٣٨.

(١٨) صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج الفشيري النيسابوري، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ١، ١٤٣٣هـ -٢٠١٤م، كتاب الزهد والرقائق (باب المؤمن أمره كله خير) من حديث صهيب الرّومي رقم ٢٩٩٩ –رضي الله عنه، ص ١٤٦٤ -١٤٦٥. وقد روي فيه الحديث بغير لفظ، واللفظ بتمامه: (عجَباً لأمْر المُؤمن، إنّ أمرَهُ كلُّهُ خيرٌ وليسَ ذاكَ لأَحدٍ إلاَّ المؤمن، إنْ أصَابتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ، فكانَ خيراً لهُ، وإنْ أصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ، فكانَ خيراً له).

(١٩) ينظر: تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، ٧/ ٣٠٩ -٣١٠.

(٢٠) ينظر: تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ٣/ ٤٣٨ -٤٤٠.

(٢١) تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ص٨٨٨، مادة (هدى).

(٢٢) ينظر: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ص٨٨٨، مادة (هدى).

(٢٣) ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ص٨٨٩، مادة (هدى).

(٢٤) ينظر : تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ص٨٩٠، مادة (هدى).

(٢٥) ينظر: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ٨٩٠، مادة (هدى).

(٢٦) ينظر: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، ٨٩٢ -٨٩٣مادة (هدى).

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم.

- أساس البلاغة، لجار الله الزمخشري، حققه، مزيد نعيم وسوقي المعري، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، ط، ١، ١٩٩٨م.
- التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق، إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٤٠٥هـ.
- تفسير الطبري من كتابه جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، تحقيق بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسسة الرسالة، ط١، بيروت، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.
- تفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة، تحقيق السيد أحمد صقر، عن دار الكتب العلمية، ١٣٩٨هـ.
- تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، لجار الله الزمخشري، تحقيق خليل مأمون شيحا، دار المعرفة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط٣، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، لإسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي أبو الفداء عماد الدين، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠ ط٣، هـ-١٩٩٩ م.
- تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، سمير عاطف الزّين، دار الكتاب اللبناني، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، ط٢، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م.
- الجامع لأحكام القرآن، والمبيّن لما تضمّنه من السنّة وآي الفرقان، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي، بمشاركة محمد رضوان عرقسوسي، مؤسسة الرسالة،

ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
- الصحاح، تاج اللغة وصحاح العربية، للجوهري، راجعه، أنس محمد الشامي وزكريا جابر أحمد، دار الحديث، القاهرة، مصر، هـ١٤٣٠، ٢٠٠٩م: ١١٩٤ م.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق ودراسة مركز البحوث وتقنية المعلومات، دار التأصيل، ط ١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٤م.
- القاموس المحيط، الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مؤسسة فن الطباعة، مصر، د. ت.
- المعجم الوسيط لمجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية، مصر، ط، ٤، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
- معاني القرآن لأبي الحسن سعيد بن مسعدة المعروف بـ (الأخفش الأوسط)، تحقيق فايز فارس، ط٢، دار البشير ودار الأمل، ١٤٠٠هـ-١٤٠١هـ/ ١٩٧٩م-١٩٨١م.
- معاني القرآن، لأبي زكريا يحيى بن زياد الفرّاء، تحقيق محمد علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، عالم الكتب، بيروت، ١٩٨٠م.
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، تقديم، علي بن حسن بن علي بن عبد الحميد، دار ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٦١هـ.